التناص الشعري فى روايات محمد فريد أبو حديد التاريخية

إعداد

عبد الله عبد الواحد أحمد حميدة

الملخص :

يدور هذا البحث حول التناص الشعري فى روايات الكاتب التاريخية ، وكيف وظف النصوص الشعرية فى السرد الروائي ، خاصة روايات (أبو الفوارس عنترة بن شداد) ، و(الملك الضليل امرؤ القيس) ، و (المهلهل سيد ربيعة) . حيث تقوم النصوص الشعرية بدور الحوار الفعال القائم بين الشخصيات ، وفى المناجاة . كما توظف الأبيات الشعرية فى مقاطع الوصف ، والتعبير عن المشاعر والمواقف السردية المختلفة .

الكلمات المفتاحية : التناص الشعري – الحوار– الوصف – المواقف السردية.

Abstract:

This research revolves around the poetic intertextuality in the writer's historical novels, and how he employed poetic texts in the narrative narration, especially the novels of (Abu al-Fawares Antarah ibn Shaddad), (Almalk Eldalil Imru al-Qays), and (Al-Muhalhal Syed Rabia). Where poetic texts play the role of an effective dialogue between the characters, and in soliloquy. It also employs poetic verses in describing passages, expressing different feelings and narrative situations.

المقدمـــة :

احتل الشعر مساحة كبيرة في روايات أبو حديد التاريخية، خاصة أنه اختار شخصيات بعض رواياته من فطاحل الشعراء، ولمكانة الشعر المتميزة في الأدب العربي؛ فهو ديوان العرب؛ فكان من الطبيعي إيراد بعض الأبيات الشعرية في الرواية.

في رواية (أبو الفوارس عنترة بن شداد)، الشخصية المحورية هي للشاعر العربي الجاهلي الشهير عنترة بن شداد العبسي، وهو من فحول الشعراء، ومن أصحاب المعلقات. وبطل رواية (الملك الضليل امرؤ القيس)، هو امرؤ القيس بن حجر الكندي، أبوه حجر مَلك على بني أسد، وامرؤ القيس من شعراء الطبقة الأولى من فحول الجاهلية. أما رواية (المهلهل سيد ربيعة)، فبطلها الشاعر عدي بن ربيعة الملقب بالمهلهل وسمى المهلهل لأنه هلهل الشعر، أي رققه، وتجنب وحشي الكلام وغريبه.

وإلى جانب هؤلاء الشعراء، هناك شعراء آخرون، جاء ذكرهم عرضا في الروايات كعبيد بن الأبرص شاعر قبيلة كندة، والسَمَوْأل وغيرهم.

التناص الشعري في رواية (أبو الفوارس عنترة بن شداد)، جاء من الأبيات الشعرية الواردة في سيرة عنترة الشعبية، ومن شعر عنترة المدون في كتب الأدب والشعر، خاصة ما جاء في معلقته الشهيرة.

التناص الشعري:

في رواية عنترة، يدور حوار بين عنترة وأخيه شيبوب، يدعي فيه شيبوب أن عبلة لا تحب عنترة، و أنه لو تقدم لخطبتها لن ترضى به زوجًا؛ وهي لا تريد منه غير الشعر الذي يتغنى به، و أنه في نظرها ونظر قبيلتها، ليس سوى عبدٍ. هنا يتكلم عنترة، ويجيب شيبوب وعبلة وقومها قائلًا:

"أُعاتِبُ دَهـــراً لاَ يلِينُ لعاتبٍ وأطْلُبُ أَمْناً من صُرُوفِ النَّوائِبِ
ولولا الهوى ما ذلَّ مثلي لمثلهم ولا روّعت أُسدُ الثرى للثَّعالبِ
سيذكرني قومي إذا الخيلُ أقبلت تجولُ بها الأبطال من كل جانب
إذا ما نَسَوْني فالقواضب والقَنا تذكرهمْ فعلي ووقعَ المضارب"[1]

فالأبيات الشعرية السابقة، جاءت في سياق الحوار الدائر بين عنترة وشيبوب، التي وظفت في التعبير عن الحالة النفسية السيئة التي يمر بها عنترة، وهو يعاتب الدهر الذي لا يلين، ويشعر بالذل والخوف والهوان جراء الحب، وهو البطل الشجاع الذي لا يهاب الموت، الذي قام بأعمال بطولية فريدة في ميدان المعارك، ولسوف يذكرها له التاريخ على مر العصور.

يقف عنترة يومًا على رأس ربوة، تشرف على الشعب الذي يحوي خباء عبلة، ولا يجرؤ على الاقتراب من الديار؛ وذلك بعد أن ضرب على عبلة الحجاب، بعد أن خطبها عمارة بن زياد، ويناجي عنترة الدهر ويعاتبه، ويعبر عن حالته النفسية:

"أُعاتبُ دَهـــــــــراً لا يَلينُ لعاتب وأخفي الجوي في القلب والدَّمعُ فاضحي
وَقَومي معَ الأَيَّام عَـــــوْنٌ على دَمي وأصبحت في بر مـــــــــن الأرض نـازح
وقد هانَ عندي بذلُ نفسي رخيصة ولو فارقتني ما بكتها جوارحـــــــي"[2]

ونراه يفتخر بنفسه، بعد أن نسبه شداد إليه، وحرره من العبودية، و انطلق ينشد بأعلى صوته، معبرًا عن فرحته بقوله:

"إني امرؤُ منْ خير عبسٍ منصباً شطري وأحمي سائري بالمنصل
وإذا الكَتيبة أحْجَمتْ وتلاحظَتْ ألفيتُ خيراً منْ معمَّ مخـول

ثم جعل ينشد وهو مقبل على الميدان:

بكَرتْ تخوفني الحتوفَ كأنني أَصْبحْتُ عن غَرض الحَتوفِ بِمَعْزِل
فأَجَبْتُهَا إنْ المَنيَّة مَنْهـــــلٌ لا بدَّ أنْ أُسْقَى بكأْس المنْهل
فاقني حياءك لا أبا لكِ واعلمي أني امرؤ سأموتُ إنْ لم أقتل
إنَّ المنيَّة لـو تُمثَّلُ مُثِّلتْ مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل
ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظلهُ حتى أنال به كـريمَ المأكلِ"[3]

قامت تلك الأبيات مقام الوصف؛ فهي تصف مدى قوة عنترة وشجاعته وشدة بأسه، و إقدامه على خوض القتال، وترفعه عن الصغائر.

في موضع آخر، يرحل مالك مع عبلة إلى أرض أصهاره بني شيبان، وعلى أثر ذلك؛ لا يطيق عنترة البقاء في أرض عبس، فيهيم على وجهه في الصحراء، ويزور بين الحين والآخر وادي الجواء، ويقف على أطلال الديار كعادة شعراء ذلك الزمان، وينادي مترنمًا:

"يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعِمِّي صَبَاحاً دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِي

حُيِّيْتَ مِنْ طَلَلٍ تَقادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وَ أَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الهَيْثَـمِ
كَيْفَ المَزَارُ وَقَدْ تَرَبَّعَ أَهْلُهَا بِعُنَيْزَتَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالغَيْلَـمِ
وَلَقَدْ نَزَلْتِ فَلا تَظُنِّي غَيْرَهُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ المُحِبِّ المُكْـرَمِ
....
....
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلٌ مِنِّي وَبِيضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لأَنَّهَا لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ الْمُتَبَسِّمِ"[4]

وهذه الأبيات الشعرية، قامت بأداء دور الحوار الفعال القائم بين عنترة وأطلال ديار عبلة، وتوظيف الجملة الشعرية في نسيج بنية الحوار الروائي، جاء عن وعي وقصد، جعل الأبيات المتناصة تخرج من صورتها النمطية والخطية المعتادة في القصيدة، إلي صورة أخرى أكثر تفاعلية وحوارية.

وينشد شيبوب الشعر أيضًا، معللًا بقاءه في الحياة وفلسفة وجوده؛ فهو موجود من أجل التنعم بالمحسوسات والملذات من طعام وشراب ونساء، ويلقي باللوم على عنترة لتمسكه بالخيال والوهم، ينشد وهو يرقص:

" هات اسقني من خمره بالكأس أو بالجره
شــقراء مثل الدره عاطرة كالزهره
بنت كــريم حره أودع فيها سره
والليل يجــلو بدره والنجم يرعى سره
لكل ليــل بكره لكل حي حضره
ما العيش إلا مره"[5]

بعد رصد الأبيات الشعرية المستلهمة في رواية (أبو الفوارس عنترة بن شداد)، يتبين أن الأبيات متناصة من السيرة الشعبية، ومن شعر عنترة، خاصة معلقته الشهيرة، وتخضع هذه الأشعار لعمليات انتقاء واختيار؛ فهو يختار بعض الأبيات من القصيدة الطويلة أو القصيرة يقطعها من سياقها دون ترتيب؛ فيأتي بالبيت أو البيتين من أول القصيدة، ثم يأتي بعدها بأبيات من وسط القصيدة أو آخرها، وقد يرتد إلى أول القصيدة مرة أخرى، ويأتي ببيت أو أكثر.

والقاعدة التي يختار على أساسها الأبيات الشعرية؛ هي مناسبة تلك الأبيات المختارة وملاءمتها للحالة الشعورية والنفسية للشخصيات أو القيام بدور الوصف والحوار

والتعبير عن المواقف السردية المختلفة، وبدلًا من استخدام النثر في الحوار، يوظف الكاتب الشعر في الحوار بين الشخصيات وفي المناجاة.

يلاحظ أن النصوص الشعرية التي يتناص الكاتب معها، التي سردها في النص الروائي؛ جاءت بهد توكيد المعني، وتفسير المواقف المختلفة، وشرح الأحداث التاريخية الماضية، التي تمر بها الشخصية الروائية، أو التعبير عن الحالات الشعورية والنفسية، التي تنتاب الشخصية. ويتوقف النص الشعري عند حد رصد الأحداث، وتسجيل المواقف دون انفتاح هذه النصوص على الواقع الحاضر، أو أن تحمل أبعادًا أخرى غير البعد التراثي، و اقتصرت على تفسير الماضي، وعلى طرح معني واحد هو المعني التراثي، أو المعني الظاهر الذي يرتبط بالشخصية التراثية، وبالعصر والمكان التاريخي، ولا يتجاوزه إلي عصور أو أماكن أخرى[6].

أما في رواية (المهلهل سيد ربيعة)، نقرأ أبياتًا من الشعر مبثوثة في أثناء الرواية، مستوحاة من الأشعار الواردة في السيرة الشعبية وفي كتب الأدب. وهو يجعل شخصيات الرواية تقول الشعر، ومنها هذه الأبيات التي أنشدتها البسوس خالة جساس، وهي تصرخ بعد قتل ناقتها وتصيح:

"لَعَمْرِي لَوْ أَصْبَحْتُ في دَارِ مُنْقِذٍ لَمَا ضِيْمَ سَعْدٌ وَهْوَ جَارٌ لأَبْيَاتِي
ولكِنَّنِي أَصْبَحْتُ في دارِ غُرْبَةٍ مَتَى يَعْدُ فِيها الذِّئبُ يَعْدُ على شَاتي
فَيَا سعدُ لا تَغْرُر بِنَفْسِكَ وارتَحل فإنَّكَ في قَوْمٍ عنِ الجارِ أَمْوَاتِ"[7]

وسعد المذكور في الأبيات السابقة، هو سعد بن شميس الجرمي، وكان قد نزل ضيفًا على البسوس خالة جساس، والأبيات تعبر عن الحالة النفسية والآلام التي تعانيها البسوس، والوضع البائس الذي وصلت إليه بعد قتل ناقتها.

وهناك أبيات أنشدتها جليلة بنت مرة أخت جساس، بعد أن قتل جساسٌ زوجَها كليبًا، تعيد فيها تكرار الأحداث السابقة، لكن بصورة مكثفة وباستخدام الشعر، تنشد تلك

الأبيات وهي تتألم من نساء قوم زوجها القتيل، وهن يشتمنها ويطلبن منها الرحيل عن ديار تغلب تقول:

"فِعْلُ جَسَّاسٍ عَلَى وَجْدِي بِهِ قَاطِعٌ ظَهْرِي وَمُدْنٍ أَجَلِي
يَا قَتِيلاً قَوَّضَ الدَّهْـــــرُ بِهِ سَقْفَ بَيْتَيَّ جَمِيعًا مِنْ عَلِ
هَدَمَ البَيْتَ الَّذِي اسْتَحْدَثْتُهُ وَانْثَنَى فِي هَدْمِ بَيْتِي الأَوَّلِ

خَصَّنِي قَتْلُ كُلَيْبٍ بِلَـــظَى مِنْ وَرَائِي وَلَظَى مُسْتَقْبِلِي
يَشْتَفِي المُدْرِكُ بِالثَّأْرِ وَفِي دَرَكِي ثَأْرِيَ ثُكْلُ المُثْكِلِ"[8]

والأبيات تلخيص موجز لأحداث المأساة التي وقعت على شخصية جليلة، والتي هي مصاب جلل وخسارة فادحة في الجانبين، جانب الزوج وجانب الأخ.

وهناك أيضًا استلهام للشعر الجماعي؛ فنجد نساء بكر وفتياتها ، يقفن صفًا في طريق فرسان بكر المنهزمين، ورحن ينشدن الشعر؛ لإشعال الحماسة في قلوب الفرسان، ودفعهم إلى العودة ومواصلة القتال:

"إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق وندهن المفارق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق عرس المولّي طالق
والعار منه لاحق"[9]

ونري الحارث بن عباد زوج أم الأغر ابنة ربيعة أخت كليب والمهلهل، ينشد شعرًا، وذلك بعد مقتل ابنه بجيرٍ، يدخل على امراته وهي تبكي، "فنظر إليها ثم نظر إلى جحدر وصاح كأنه يخاطبه:

"قُل لِأُمِّ الأَغَـــرِّ تَبك بُجَيراً حيلَ بَينَ الرِجالِ وَالأَمـوالِ
وَلَعَمـري لَأَبكِـــيَنَّ بُجَيراً ما أَتى الماءُ مِن رُؤوسِ الجِبالِ
لَهِفَ نَفسي عَلى بُجَيرٍ إِذا ما جالَتِ الخَيلُ يَومَ حَربٍ عُضالِ
قَتَلوهُ بِشِسعِ نَعلٍ كُلَـيبٍ إِنَّ قَتلَ الكَـريمِ بِالشِسعِ غالِ"[10]

ثم يقف الحارث وسط جمع بني ثعلبة، ويصيح في حزن وغيظ:

"يا بُجَيرَ الخَيراتِ لا صلحَ حَتّى نَملَأَ البيدَ مِن رُؤوسِ الرِجالِ
لَم أَكُن مِن جُناتِها عَلِـمَ اللَهُ وَ إِني لِحَرِّها اليَومَ صـالِ"[11]

ثم يستل سيفه، ويهزه فوق رأسه، متوعدًا بالثأر لدم بجير ويصيح:

"قربا مربط النعامـة مني لقحت حرب وائل عن حيال
فلعمـرى لاقتلن بيجير عدد الذر والحصا والرمال
قربا مربط النعامـة مني ليس قولي يراد لا بل فعالي"[12]

فالأبيات الشعرية المتناصة هنا، جاءت لتعبر عن المشاعر التي تجيش في نفس هذا الأب المكلوم، وترصد تصاعد وتيرة الأحداث، وتسرد جانبًا منها.

وفي نهاية أحداث الرواية، يجلس المهلهل وسط قومه، يسامرهم ويشاركهم الشراب

برًا بقسمه، وينشد من أشعاره مفاخرًا بقومه، وبمن قتل من سادات بكر وشيوخ قيس بن ثعلبة:

"شَفيتُ النفس من أبناء بكرٍ وحكَّتْ بزْكَها ببني عباد
إذا ما الخَيل بالأشكال جالَتْ وفي لبَّاتِها أسل الصواد
وثار النَّقْـــــــع بينهم وثارَتْ لها أُسْد على أُسْدٍ عواد
بضربٍ تشخَصُ الأبصار منه وطعنٍ مثل أفواه المزاد"[13]

ونلاحظ أن الأشعار التي قيلت على لسان شخصيات الرواية، مقتبسة من الأشعار الواردة في سيرة (الزير سالم)، وبعض هذه الأشعار صيغت باللهجة العامية، لكن الرواية اقتصرت على التناص مع الأشعار المدونة باللغة الفصحى.

لم يوفق الكاتب في استخدام التناص الشعري وتوظيفه في النص الروائي بشكل جيد، و اقتصر دوره على مجرد الاقتباس والاستشهاد بالأبيات الشعرية، بغرض الحيلة والزينة الشكلية، دون التفاعل مع النصوص الشعرية، أو التناص معها تناصًا حقيقيًا. فالتناص الفعلي يمثّل" تبادلًا، حوارًا، رباطًا، اتحادًا، تفاعلًا بين نصين أو عدة نصوص تتصارع يُبطل أحداهما مفعول الآخر، تتساكن، تلتحم، تتعانق إذ ينجح النص في استيعابه النصوص الأخرى وتدميرها في ذات الوقت، إنه إثبات ونفي وتركيب"[14].

في رواية (الملك الضليل امرؤ القيس)، تذخر بعدد كبير من المقاطع الشعرية، والتي وظفت لخدمة السرد والوصف والحوار، وأغلب الأشعار لبطل الرواية، الشاعر الجاهلي امرؤ القيس بن حجر الكندي، وهومن فحول الشعراء ومن أصحاب المعلقات، وهناك بعض الأبيات لشعراء آخرين كعبيد بن الأبرص، شاعر قبيلة كندة، والشاعر العربي اليهودي السموأل بن غريض الأزدي.

في بداية أحداث الرواية، نطالع عددًا من الأبيات الشعرية الوصفية، التي ترنم بها امرؤ القيس، وهو يصف أعضاء فرسه الرشيقة عضوًا عضوًا، ويبدأ بحو افرها وسيقانها يقول:

"لَهُ أيْطَلا ظَبْيٍ، وَسَاقَا نَعَامَةٍ وصهوة عير قائم فوق مرتقب
ويخطو على صم صلاب كأنهـا حجارة غيل وارسات بطحلب"[15]

ثم ينتقل بعد ذلك إلى رأسها، ويصف عرفها، وشعر ناصيتها بقوله:

"لها عُذرَكقرون النسـا يركبن في يوم ريح وصر

لها جبهة كسراة المِجَنّ حذّفه الصانـع المقتدر
لها منخر كوجار الضباع فمنه تـريح إذا تنهر"[16]

ونترك الأبيات التي يصف فيها فرسه، ونذهب إلى الأبيات التي يعبر بها عن نفسه من الداخل، ونقرأ هذا الحوار الداخلي المفعم بالأسى والحزن، والذي تردد في أعماق الشاعر:

" أفاطم مهلاً بعضَ هـذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صَرْمي فأجملي
وإن كنت قد ساءتك مني خليقةٌ فسُلي ثيـابي من ثيابك تَنسُل
أغـرك مـــــني أن حبـك قاتلي و أنك مهما تأمري القلـب يفعل
وما ذَرَفت عينـاك إلا لتضـــــربي بسهميك في أعشار قـلب مقتّل
تَسَلَّت عِماياتُ الرِجالِ عَنِ الصِبا، وَلَيسَ فُؤادي عَن هَـواكِ بِمُنسَلِ" [17]

يعود الشاعر من التعبير عن الأحزان والمشاعر الداخلية، ويتجه إلى وصف الطبيعة ويناجي الليل شاكيًا إليه تتابع الهموم والأحزان، يقول:

"وليلٍ كمَوجِ البحر أرخى سدولَه عليّ بأنـواع الهموم ليبتلي
فقلت له لمّا تمطّـــــى بصُلبـه وأردف أعـجازًا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويلُ ألا انجلِ بصبح وما الإصباحُ منك بأمثلِ
كأن الثريّا علّقت في مَصامها بأمراس كَتّان إلى صَمّ جندَلِ"[18]

وهذه الأبيات مستلة من معلقة امرئ القيس الطويلة، والتي تضم (82) بيتًا.

يقف عبيد بن الأبرص، يهاجم امرأ القيس، ويتهمه بالفسق وهتك أعراض النساء والفتيات، وإشاعة الفساد بين القوم، ويسوق الأدلة على صدق كلامه، من شعر امرئ القيس نفسه، وينشد بعض أبيات معلقة امرئ القيس التي يقول فيها:

"سَمَوتُ إِلَيها بَعدَ ما نامَ أَهلُها سُموَّ حَبابِ الماءِ حالاً عَلى حالِ
فَقالَت سَباكَ اللَهُ إِنَّكَ فاضِحي أَلَستَ تَرى السُمّارَ وَالناسَ أَحوالي
فَقُلتُ يَمينَ اللَهِ أَبرَحُ قـاعِداً وَلَو قَطَعوا رَأسي لَدَيكِ وَأَوصالي
حَلَفتُ لَها بِاللَهِ حِلفَةَ فـاجِرٍ لَناموا فَما إِن مِن حَديثٍ وَلا صالِ
فَلَمّا تَنازَعنا الحَديثَ وَأَسمَحَت هَصَرتُ بِغُصنٍ ذي شَماريخَ مَيّالِ
وَصِرنا إِلى الحُسنى وَرَقَّ كَلامُنا وَرُضتُ فَذَلَّـت صَعبَةٌ أَيَّ إِذلالِ
فَأَصبَحتُ مَعشوقاً وَأَصبَحَ بَعلُها عَلَيهِ القَتامُ سَيِّئَ الظَـنِّ وَالبالِ
يَغُطُّ غَطيطَ البَـكرِ شُدَّ خِناقُهُ لِيَقتُلَني وَالمَـرءُ لَيسَ بِقَتّالِ

أَيَقتُلُني وَالمَشرَفِيُّ مُضـاجِعي وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيـابِ أَغوالِ
أَيَقتُلَني وَقَـد شَغَفتُ فُؤادَها كَما شَغَفَ المَهنوءَةَ الرَجُلُ الطالي
وَقَد عَلِمَت سَلمى وَإِن كانَ بَعلُها بِأَنَّ الفَتى يَهـذي وَلَيسَ بِفَعّالِ"[19]

والأبيات السابقة تصوير دقيق ووصف معبر لإحدى مغامرات امرئ القيس الغرامية، وحلت الأبيات الشعرية محل السرد، واشتملت على العديد من العناصر السردية كالوصف والحواروالصراع والحركة والتحليل النفسي وتعبيرات التهديد والوعيد، وأغنت عن رتابة السرد، وهذا من حسن توظيف التناص.

ارتحل بنو أسد إلى أرض أبناء عمهم بني كنانة، يطلبون النجاة والخلاص من مطاردة امرئ القيس لهم، وبعد ثلاثة أيام من السير الحثيث، ضربوا الخيام في وادٍ منعزل، واجتمعوا في حلقة السمر، ودار الحديث في مرح ورقص، وقبل الانصراف، وقف شاب متقلدًا سيفه، وأخذ يتغنى بأبيات من شعر عبيد بن الأبرص شاعر قبيلة كندة، يسخر فيها من امرئ القيس، ويفاخر بقوة قومه وشجاعتهم، يقول:

"يا ذا المهددنا بِقَتـ لِ أَبيهِ إِذلالًا وَمينا
هَلّا رأيت جُموعَ كِنـ ـدَةَ يَومَ وَلَّوا أَينَ أَينـا
نَحنُ الأُلى فاجَمَعْ جُمو عًا ثُمَّ وَجِّهْهُمْ إِلَينـا
وَاعلَم بِأَنَّ جِيادَنـا آلَينَ لا يَقضينَ دَينـا
وَلَقَد أَبَحنا مـا حَمَيـ ـتَ وَلا مُبيحَ لِما حَمَينا
نَحمي حَقيقَتَنـا وَنَع ضُ القَومِ يَسقُطُ بَينَ بَين"[20]

ومع اقتراب نهاية الأحداث، تتوالي المصائب والمحن على امرئ القيس، ويقع الكثير من قومه بين قتيل وأسير، ويفقد كل نصير ومعين، يجلس باكيًا حزينًا وحيدًا، يتأمل حياته، ويجتر أحزانه وآلامه، ويناجي نفسه، ويتوقع مصيره، يقول:

"وقد طَـوَّفْتُ في الآفاقِ، حَتى رضيتُ من الغنيمة بالإياب
أرانا موضعين لأمـر غيب وَنُسْحَرُ بالطَّعامِ، وَبالشَّرابِ
إلى عرقِ الثرى وشجت عروقي وهذا الموت يسلبني شبابي
ونفسي سَوفَ يَسْلُبُها وجِرْمي فيلحِقني وشيكـا بالتراب
أرجي من صروفِ الدهر ليناً ولم تغفل عن الصم الهضاب
وأعلَمُ أنّني، عَمّـا قليل سأنشبُ في شبا ظفر وناب
كما لاقى أبي حجرٍ وجـدّي ولا أنسي قتيـلاً بالكُلاب"[21]

في اللحظات الأخيرة من حياة امرئ القيس، يصاب بالحمى، ويشتد عليه المرض، وتمر في ذهنه المحموم صور حياته من البداية وحتى وصل إلى تلك النهاية الحزينة، وها هو يجلس وحيدًا في هذا المكان الموحش يناجي ربه، ويتأمل الحياة والموت والصحة والمرض، يفكر فيما صارت إليه الأمور، يقول وكأنه يتحدث إلى أصحابه:

" تَأَوَّبَني دائي القَديمُ فَغَلَّسا وما كنت أَن يَرتَدَّ دائي فَأُنكَسا
فَإِمّا تَريني لا أُغَمِّضُ ساعَة مِنَ اللَيلِ إِلّا أَن أَكُبَّ فَأَنعَسا
فَيا رُبَّ مَكروبٍ كَرَرتُ وَراءَهُ وَطاعَنتُ عَنهُ الخَيلَ حَتّى تَنَفَّسا
وَيا رُبَّ يَومٍ قَد أَروحُ مُرَجَّلا حَبيباً إِلى البيضِ الكَواعِبِ أَملَسا
وَما خِلتُ تَبريحَ الحَياةِ كَما أَرى تَضيقُ ذِراعي أَن أَقومَ فَأَلبِسا
فَلَو أَنَّها نَفسٌ تَموتُ جَميعَةً وَلَكِنَّها نَفسٌ تُساقِطُ أَنفُسا
وَبُدِّلتُ قَرحاً دامِياً بَعدَ صِحَّةٍ فَيا لَكِ مِن نُعمى تَحَوَّلنَ أَبؤُسا
لَقَد طَمِحَ الطَمّاحُ مِن بُعدِ أَرضِهِ لِيُلبِسَني مِن دائِهِ ما تَلَبَّسا"[22]

وهى لحظات عصيبة، وذكريات مريرة، ومشاعر حزينة، وتجارب أليمة مرت في حياة امرئ القيس، وقف الشاعر فيها أمام نفسه، يفكر في تجربته بنظرة تأملية فلسفية.

ولقد عبرت الأبيات الشعرية عن الحالة الشعورية والنفسية التي تمر بها الشخصيات بأوجز عبارة وأصدق تعبير.

الخاتمة :

بعد استعراض التناص الشعري في روايات محمد فريد أبو حديد التاريخية نلاحظ ما يلي:

- استخدام الشعر بصفة عامة وتوظيفه في نسيج الرواية والسيرة الشعبية يدخل في مواضع معينة ومواقف محددة منها : الترنم عند الحرب، وعند الحب، وفي المسامرة، وقد يكون الشعر رفيق طريق، أو عزاء حزين، أو طبول حرب، ولقد مرت بنا بعض تلك المواقف والمواضع، وذكرنا أمثلة ونماذج لكل منها.
- أسهم التناص الشعري في تقديم الحالة النفسية والشعورية للشخصيات الروائية، كما قام بدور فعال في الحوار بين الشخصيات.

- وتعد بعض النصوص الشعرية لحمة أساسية في النسيج السردي؛ فهي تضيف إلي النص الروائي الحيوية والحركة والحرارة.
- وتعد بعض الأبيات الشعرية دخيلة على الروائي، وليست جزء أساسيًا أو مهمًا في النسيج الروائي، ولم تضف شيئًا، ويمكن الاستغناء عنها وحذفها دون أن يتأثر البناء الروائي، ولم تضف إلي النص الروائي أي دلالة جديدة أو مختلفة.
- يأتي الكاتب ببعض الأبيات الشعرية، ويوظفها في النص الروائي؛ فتقوم بأدوار السرد المختلفة: تقوم بأداء الوصف الخالص للطبيعة والمكان والأشياء تارة، وتارة تقوم بدورالحواربين الشخصيات المختلفة، وتعبرعن الحالة النفسية، وتصور الأعماق الداخلية، وتطور الصراع بين الشخصيات، وتساعد في بناء الشخصيات، والكشف عن أبعادها الداخلية.
- ويؤدي انتقال السرد من النثرإلى الشعر، إلي كسررتابة السرد، إثراء النص الروائي، كما سدت بعض مقاطع الشعر مكان السرد، وأصبحت جزءًا أساسيًا من النص السردى، لا يمكن الاستغناء عنه، وقامت بتكرار الأحداث، وفي أحيان أخرى قامت بتلخيصها وتكثيفها، وبعض المقاطع لم توظف لخدمة السرد، بل جاءت لمجرد الزينة والزخرفة الشكلية.
- النصوص الشعرية المستوحاة، جاءت من القصائد الشعرية الطويلة أو القصيرة المدونة في كتب الأدب ودواوين الشعراء ومن المعلقات. وبعض الأشعار استوحيت من الأشعار الموجودة في السير الشعبية، وخاصة المدون باللهجة العامية مثل سيرة الزيرسالم.

الهوامش :

(1) محمد فريد أبو حديد: رواية (أبو الفوارس عنترة بن شداد)، ص32.

(2) محمد فريد أبوحديد: رواية (أبو الفوارس عنترة بن شداد)، ص ص76، 77.

(3) نفسه، ص84.

(4) محمد فريد أبوحديد: رواية (أبو الفوارس عنترة بن شداد)، ص ص 109، 110.

(5) انظر: مراد عبدالرحمن مبروك :، العناصر التراثية في الرواية العربية في مصر، دار المعارف ، القاهرة ، 1991م ، ص 137.

(6) محمد فريد أبوحديد: رواية (أبو الفوارس عنترة بن شداد)، ص116.

(7) محمد فريد أبو حديد: رواية (المهلهل سيد ربيعة)، ص ص 66، 67.

(8) نفسه، ص ص89، 90.

(9) محمد فريد أبو حديد: رواية (المهلهل سيد ربيعة)، ص ص154، 155.

(10) نفسه،ص135.

(11) نفسه .

(12) نفسه، ص 136

(13) محمد فريد أبو حديد: رواية (المهلهل سيد ربيعة)، ص174.

(14) رولان بارت : لّذة النص أو مغامرة الكتابة، ت: عمر أوكان، أفريقا الشرق، الدار البيضاء،1991م، ص29.

(15) محمد فريد أبو حديد: رواية (الملك الضليل امرؤ القيس)، ص 7.

(16) نفسه.

(17) نفسه، ص22.

(18) محمد فريد أبو حديد: (رواية الملك الضليل امرؤ القيس)، ص23.

(19) نفسه، ص 35.

(20) محمد فريد أبو حديد: رواية (الملك الضليل امرؤ القيس)، ص136.

(21) محمد فريد أبو حديد: رواية (الملك الضليل امرؤ القيس)، ص158.

(22) نفسه، ص251.

المصادر والمراجع :

1- رولان بارت : لّذة النص أو مغامرة الكتابة، ت: عمر أوكان، أفريقا الشرق، الدار البيضاء،1991م .

2- محمد فريد أبو حديد: رواية (أبو الفوارس عنترة بن شداد).

3- محمد فريد أبو حديد: رواية (الملك الضليل امرؤ القيس).

4- محمد فريد أبو حديد : رواية (المهلهل سيد ربيعة).

5- انظر: مراد عبدالرحمن مبروك : العناصر التراثية في الرواية العربية في مصر، دار المعارف ، القاهرة ، 1991م .